خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٣١- ١٠ -٢٠٠٨

في مسجد بيت الفتوح بلندن

۞۞۞۞۞۞

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُضْعِفُونَ * اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(الروم ٣٨-٤١)

لقد أعلن الله ﷻ في الآية الأولى من هذه الآيات التي تلوتها آنفًا وقرأت ترجمتها على مسامعكم، أنه هو "الرزاق".. أي أنه يوسّع الرزق على من يشاء، ويضيِّقه أو يمسكه أيضا عمن يشاء. وصِفةُ الله "الرزاق" تُري المؤمن الحقيقي آياتٍ كثيرة يزداد بها إيمانُه. والأوضاعُ الاقتصادية التي يعيشها العالم والأزمةُ الاقتصادية التي يواجهها في الوقت الراهن، والتي تضررت بها على حد سواء بلدانٌ غنية وفقيرة، وبلاد صناعية وبلاد تعوِّل على الزراعة، وبلاد يحسب أهلها أنهم قد برعوا في التكنولوجيا بحيث لا غنى للعالم عن خدماتهم في كل حال، لكونها ذات أهمية بالغة في العصر الحديث عصرِ العلم. كانت بعض القوى العظمى تظن أن اقتصادها قد صار قويا بحيث يمكّنها من السيطرة على العالم كله عن قريب. إنهم يُملون قراراتهم على كثير من بلدان العالم مسبقا، لكنهم يحلمون أن تكون لهم السيطرة الكلية على العالم بأسره. فهم يزعمون أنهم قد أحرزوا في مجال العلوم تقدمًا بحيث لم يعُدْ لهم أي مُنافِسٍ في هذا الميدان، ويظنون بسبب مساحات بلادهم الشاسعة ومناخهم المتنوع أنهم قد نالوا الكفاية الذاتية في الغذاء بحيث لم يعودوا بحاجة إلى أحد في هذا المجال. كما يدّعون أننا قد أحرزنا في مجال الطب أيضا تقدمًا جعل العالَم كلّه يتعلم منهم كل صغيرة وكبيرة. أما في سباق التسلح فقد سبقوا الجميع، والعالَمُ كله يستفيد من تجاربهم. وبالإضافة إلى تسخير الأرض – على حد زعمهم – فقد قفزوا إلى عَنان السماء، وهكذا يمكنهم فرض سيطرتهم على العالم، ولا بد له أن يعترف بتفوّقهم وأن يرتمي في أحضانهم.

ثم زعمت بعض القوى أنها قد حازت من القوة الاقتصادية بحيث إنها تتحكم في اقتصاد العالم، بحيث إن العالم كله مضطر لأن يعوِّل عليها. وكانت – بسبب اقتصادها القوي وبراعتها في مجالات معينة من التكنولوجيا – قد ألغتْ كثيرا من صناعتها وزراعتها بحيث لم تعُد عندهم زراعة إلا بالاسم فقط. وهذا أدى إلى تدهور اقتصادها بسرعة وتلاشى ما كانوا يعتمدون عليه من صناعة وزراعة.

فالحق أنهم لا يتأملون في الأسباب الحقيقية وراء كل ما نراه في العالم من أزمة اقتصادية. إنما السبب الحقيقي هو أنهم غير مؤمنين بالله الرازق وصاحب القدرات كلها، أو لا يؤمنون به حق الإيمان. هذه القوى أو البلاد القوية اقتصاديا –أو التي كانت قوية حتى قبل فترة قصيرة – لا تعير اهتماما كافيا الحقيقةَ الثابتة بأن في الكون قانونا آخر وضَعه اللهُ خالقُ السموات والأرض، فعندما تحل الآفات السماوية والأرضية في صورة كوارث من زلازل وأعاصير بحرية، فلا يستطيع الناس أن يقاوموها، إذ ينقلب كل شيء رأسًا على عقب. فلما سيَّروا الاقتصاد بأسلوب غير طبيعي ظهرت نتائجه الطبيعية أيضا. فمن جهة ظهر تأثيرُ الآفاتِ السماوية والأرضية النازلة نتيجة نسيانهم اللهَ ﷻ، ومن جهة ثانية ظهر تأثير تسييرهم الاقتصادَ خلافًا لأوامر الله ﷻ.

ثم إن الحلول التي يقترحونها لهذه الأزمة ليست دائمة. إنهم لم يدركوا السبب الحقيقي لهذه الأزمة وإن كانوا يسعون إلى الاقتراب منه لحدٍّ ما. ويبدو من النظر إلى الحلول التي أتوا بها حتى الآن أنها ستزيد الأمور تعقيدا. وإننا حين نمعن النظر في هذه الأمور كلها معًا نزداد إيمانًا مع إيماننا بالله ﷻ. لذا من واجبنا، نحن المسلمين الأحمديين، الآن أن نذكّر العالم أن السبب الحقيقي لكل هذه الآفات والأزمات هو الابتعادُ عن الله ﷻ، وعدمُ الاهتمام بأداء حقوق

العباد، ومَدُّ النظر إلى ثروات الآخرين ومواردهم جشعًا. فإذا كانوا يريدون الحل الدائم فهم بحاجة إلى التفكير الجدي في هذه الأمور. فتقديم مساعدة ببلايين الدولارات أو الجنيهات إلى البنوك ليس حلا دائما للأزمة، لأن هذه المبالغ أيضا تخرج من نفس الجيب الذي تعرض للخسارة سلفًا. ونفس هذه الأوضاع تعيشها البلدان الإسلامية أيضا في الوقت الحاضر، لأنهم هم الآخرون يتبعون نظام الاقتصاد الدنيوي بدلاً من أن يسترشدوا من التعليم الذي أنزله الله ﷻ لهم في القرآن الكريم. ثم إن إيمانهم ووفاءهم ببلادهم قد تضاءل كثيرا حيث لم يعد أحد يشعر بما ستؤول إليه بلاده. أما رؤساء البلاد فلا تهمّهم إلا المصالح الشخصية.

إن حكّام بلاد الشرق الأوسط أو البلدان العربية ذات الثروات النفطية الهائلة أيضا لم يسيّروا اقتصادهم كما أمرهم الله ﷻ، فلم يكونوا أمناء ولم يسعوا لأداء الحقوق التي أمر الله بأدائها. لا شك أنهم قد قاموا بتطوير البنية التحتية لبلادهم بشكل ملحوظ، لكنهم لم يستخدموا موارد بلادهم حسبما أمرهم الله ﷻ. فمثلا حينما زادت أموالهم عن حاجاتهم – إذ كانوا يملكون مبالغ خيالية تزيد عن حاجاتهم وتراكمت لديهم ثروة النفط الهائلة – استثمروها في البلاد الغربية لأخذ الربا، ولم يكن استثمارهم هذا في مشاريع إنتاجية، بل كان يجلب لهم أرباحًا مؤقتة.. أي أودعوا أموالهم الزائدة عند البنوك أو بعض المؤسسات لكي يأخذوا الربا باستمرار. لا شك أن الدول الإسلامية قد أسست عندها نظامًا للبنوك – ولو بدافع الرياء– بما يسمى البنك الإسلامي، لكنه أيضا يتأسس على نوع من الربا. فهو في ظاهره يسمى البنك الإسلامي، لكنه ليس في الحقيقة ما يريده الإسلام والقرآن الكريم، لأننا لو أمعنا النظر فيه لوجدناه يقدّم نوعًا من الربا باسم الفائدة.

على كل حال، كنت أقول إن هؤلاء استثمروا أموالهم معرضين عن التعليم الإسلامي حيث قدّموا مبالغ ضخمة وأموالاً طائلة للبلاد الغربية دون أن يستهدفوا منها أي هدف تجاري. والآن عندما حلّت هذه الأزمة الاقتصادية بالعالم فلا بد أن تكون أموال هذه الدول الإسلامية قد أصيبت بهزة عنيفة وتأثرت بها. إن الله ﷻ حين ذكّرنا بأنه هو الرزاق، فقد نصح المؤمنين في الآية الثانية من الآيات التي تلوتها عليكم من سورة الروم أن يؤتوا ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل.. أي أنه تعالى قد ذكر في هذه الآية ثلاثة مجالات للاستخدام الصحيح للمال، وفي الأخير ذكر أمرين هما نتيجة لأداء هذه الحقوق، وبيَّن أن هذا هو جزاؤكم: اكتساب رضوان الله ﷻ، والفلاح في الدين والدنيا. ولكي يكون المرء مؤمنًا حقًا فلا يكفيه أن يعلن باللسان فقط بأنه مؤمن أو مسلم، ولا يكفيه مجردُ الإعلان بأنه مؤمن بأن الله الرزاق، إذ إن إعلان المرء بإيمانه ويقينه بصفة الرزاق يتطلّب منه تقديم النماذج العملية. فإذا كان الله رزاقا فالمؤمن به إيمانا كاملا لا يخاف أبدًا من قلة الرزق لإيمانه الراسخ بأنه ﷻ سوف يؤمِّن له الرزق. ثم إنه ينفق مما آتاه الله ﷻ حسب ما أمره ﷻ.

فالمؤمن الذي أوضاعه المالية والاقتصادية جيدة يُشرِك الآخرين في أمواله كما أمره الله تعالى، ويسد حاجات ذوي الحاجة من أقارب وأعزاء وجيران، بل حيث إن المسلم أخو المسلم بحسب الحديث الشريف فلا بد له من أداء حقوق جميع أفراد الأمة. وعليه فيجب على البلاد الإسلامية الغنية أن تساعد البلاد الإسلامية الفقيرة وتفكر من أجل تطوُّرها وتقدُّمها، وعندها يمكن أداء الحقوق أداء سليما حسبما أمر الله ﷻ.

وليكن معلومًا أن الله ﷻ قال هنا: ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾، وكلمة "آتِ" تتضمن العطاء مع الاحترام؛ ثم بإضافة كلمة "حقه" قد شرح الله الموضوع أكثر، فأخبر أن تقديم المساعدة مع احترام هؤلاء المحتاجين واجب عليكم؛ فهو ليس منّةً وتبرعًا تقدّمونه لهم، بل إن تقديم شيء من أموالكم الفائضة لهم باحترام واجبٌ عليكم.

فلو فكّرت البلاد الإسلامية النفطية الغنية في مساعدة البلاد الإسلامية الفقيرة، واهتمت بتطويرها بدلاً من إيداع أموالها الضخمة في البنوك الغربية طمعًا في الربا، لنالت رضا الله ﷻ ولحقّقت الفلاح أيضًا. لقد نُشرت في الجرائد مرارا تصريحات بعض هذه البلاد الإسلامية تفيد أن أوضاعها الاقتصادية جيدة، والحق أن اعتقادها هذا خاطئ. إنهم يظنون أن لا خطر على اقتصادهم لأنهم يملكون ثروات النفط، ولكنهم لا يدركون أن مبالغهم المودعة في البنوك الغربية أو عند المؤسسات التي تقدم القروض أيضًا قد تأثرت بالأزمة الحالية بلا شك، وبالتالي قد تأثرت أموالهم المودعة عندها أيضا.

أبين لكم بإيجاز أن القروض التي تقدمها البنوك في هذه البلاد الغربية – كما ترون هنا في بريطانيا حيث يستدين الأحمديون أيضا من البنوك – هي كلها قروض بحتة وليست من أجل الإنتاج – حيث يُستخدم الجزء الأكبر من هذه القروض لشراء البيوت وأثاثها وشراء السيارات، والمعلوم أن هذا لا ينتج شيئا. وحين تلقى أصحاب هذه البنوك والمؤسسات أموال أصحاب ثروات النفط ورأوا أن الأموال أخذت تتراكم عندهم بسرعة هائلة، بدأوا يقدمون القروض بسخاء أكبر. علمًا أن أصحاب البنوك لا يستثمرون من أموالهم الخاصة إلا نـــزرًا يسيرا – لقد كتب بعض الأحمديين مقالات رائعة حول هذا الموضوع – والجزء الأكبر من الأموال التي تستثمرها البنوك، أي ما بين ٩٠

إلى ٩٥ بالمئة، هي أموال الآخرين. وكما قلتُ إن أصحاب الثروات النفطية هؤلاء لم يستثمروا أموالهم في مشاريع منتجة، إنما في مشاريع استهلاكية فحسب. إذًا هناك مبالغ ضخمة تُنفَق في المجالات غير المنتجة. لقد أخبرني مسؤول في البنك أن ٤٥ بالمئة من الأموال المستثمَرة لدى البنوك تُقرَض للناس لشراء البيوت، إضافةً إلى مبلغ كبير تقرضه البنوك في مجالات مماثلة، ولا يُستخدم في المشاريع المنتجة إلا مبلغ ضئيل جدا. فهؤلاء يقدّمون القروض بشروط سهلة. أقول "بشروط سهلة"، لأن الكثير منكم الذين يجلسون أمامي يعرفون أنه إذا كان ثمن البيت ثلاثمئة ألف جنيه مثلاً، فالبنك لا يتقاضى من المقترض دفعة أولى إلا عشرة آلاف أو خمسة عشر ألف جنيه فقط، بينما في الماضي كانوا لا يُقرِضون لشراء البيت إلا بشرط دفعِ نسبة لا بأس بها من ثمن البيت إلى البنك قبل الموافقة على القرض، وبقية الثمن كان يُدفَع بالأقساط كدَينٍ من البنك. ثم إن المستدين لا يفكّر في نسبة الربا التي يأخذها البنك، ولا في السنوات التي سيظل فيها يدفع الأقساط للبنك، ولا فيما سيدفعه أكثرَ من الثمن الأصلي للبيت، إنما يفكر في اقتناء البيت فورًا، ولا يعرف أنه سيدفع الأقساط لمدة طويلة من ناحية، ومن ناحية أخرى يكون دخله محدودًا وموارده محدودة، فيأتي عليه وقت لا يستطيع فيه تسديد الديون، لأن أسعار الحاجات اليومية تكون قد ارتفعت بشكل عام، فتزداد نفقات البيت؛ فإذا أراد تسديد الدَّين يتعذر عليه تسيير شؤون البيت وإعالة الأهل. باختصار، يقع المقترض في ورطة كبيرة باستمرار وتتراكم عليه الديون.

وهناك ظاهرة شائعة لرهن البيوت، حيث يقوم الناس برهن البيوت هنا وفي البلاد الأخرى، فيتعرضون للمزيد من وطأة الديون. فهم في ظاهر الأمر يتلقون المبلغ من البنك، لكنهم إذا فكروا في الحقيقة لوجدوا أنهم وقعوا تحت

مزيد من ثقل الديون. الحق أنهم يتخلصون من القرض مؤقتا، ويقعون في براثنه أكثر من ذي قبل.

ثم هناك إغراءات أخرى تقدّمها البنوك، حيث لا يدفع المرء شيئا من جيبه، بل يكتب العقد مع البنك ويشتري البيت، ثم يدفع أجرة البيت مع الربا بالأقساط، ويستمر في أدائها مدى الحياة، وعندما يشرف على الموت لا يكون لديهم شيء من المال، فيعود ما اشتراه إلى البنك. وقد تخلّص الكثيرون من جماعتنا من هذه المشكلة عندما ألقيتُ خطبة في المرة الماضية. فلو فكر المرء في القضية لوجد أن القرض مع الربا يظل في تزايد مستمر. وهناك كثيرون لا يستطيعون تسديد الدين. وإن القروض التي تقدمها البنوك هي أصلاً من المبالغ التي أودعها الناس لديها، والجزء الأكبر منها أموالُ بلاد النفط، وبسببها قدمتها هذه البنوك بسخاء كبير. وهذا التعامل الربوي ليس سائدًا هنا فقط، بل إن الأوضاع الاقتصادية نفسها تعيشها الولايات المتحدة الأمريكية والبلاد الأخرى أيضا في العالم. وفي هذه الحالة كما قلت يعمل قانون الطبيعة عمله.. أي عندما يفقد الناس قدرتهم على تسديد الديون تستفيق البنوك، لأن الأموال التي أقرضتْها الناس لم تكن أموالها بل كانت أموال الآخرين، فامتنعتْ عن تقديم مزيد من القروض. وهي لم تمتنع عن تقديم القروض للمشاريع غير المنتجة فحسب، بل توقفتْ عن تقديم القروض للمشاريع المنتجة أيضا، وكنتيجة طبيعية لهذه الظاهرة تأثرَ الاقتصاد في العالم كله. ولما كان اقتصاد بعض البلاد يعتمد على بعضها الآخر، لذا فقد أحاطت الأزمة بالعالم كله. لذا فإن قول بعض البلاد إننا لن نتأثر ولن نتضرر بهذه الأزمة قولٌ خاطئ لأنه (أولاً) لا يُتوقع أن يتمكنوا من استرداد نقودهم المودَعة في بنوك أوروبا

بسرعة، و(ثانيًا) عندما يُدمَّر اقتصادهم نتيجة الكساد سيقلّ شراء النفط الذي يعتمدون عليه ويقولون سنتدارك به الوضع.

لقد قدمت مجلة "تايمز" (Times) بعض الحقائق في مقال نشر فيها هذه الأسبوع تحت عنوان: (A sea of debt).. أي بحر من القروض، وقالت: قد دخل ماء هذا البحر في سفينة أمريكا أيضا – التي تدعي أنها قوة اقتصادية كبيرة – حتى أوشكت على الغرق.

ثم تتابع المجلة وتقول: إن اقتصاد أمريكا في أزمة كبيرة بحيث لا يمكن تداركها سريعًا مهما حاولوا. لا يأمن أيُّ بلد في العالم الهزاتِ التي يتعرض لها الاقتصاد في الفترة الراهنة. ومعلوم أن أخذ النقود من البنوك ببطاقة الائتمان ظاهرةٌ شائعة حيث تُنفق بواسطتها النقودُ بلا هوادة، وذكرت هذه المجلة الحالة الاقتصادية المتردية للبلاد الغربية وقالت إن هذه البلدان بصدد فرض الحظر إلى حد ما على بطاقة الائتمان.

كان الناس يستخدمون هذه البطاقة كثيرا وينفقون النقود بلا هوادة، وقد انخفض هذا النوع من الإنفاق أيضًا.

كما انخفض بيع السيارات إلى أدنى حد منذ ١٥ عاما. كما قلَّ السفر الجوي، حتى أوقفت خطوط جوية عديدة رحلاتها. ومعلوم أن السيارات والطائرات تستهلك أكبر كمية من النفط، فلو انخفض استهلاكه انخفض شراؤه تلقائيا، وبالتالي سينخفض طلبه تلقائيا؛ فكيف تنهال –في هذه الحالة– الأموال على بلاد النفط؟ الواضح أن قلة الطلب ستؤثر عليهم سلبًا.

إن البرامج الترفيهية، بما فيها الأكل في المطاعم مثلا، ظاهرة شائعة على نطاق واسع في هذه البلاد، ولكنها قد تراجعت أيضا إلى حد ملحوظ. وإذا تراجعت هذه الظاهرة وقلّل الناس من البرامج الترفيهية – خصوصا أن حالة

الطقس تتقلب دائما في هذه البلاد – فهذا سيؤدي إلى اتساع نطاق الكآبة المنتشرة فيها مسبقا، ولا يخفى على الناس التأثيرات السيئة لمرض الكآبة.

فقد قال تعالى عن الذين يتورطون في المعاملات الربوية والذين يأكلون الربا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٢٧٦)

إذن، فلا بد من التأثيرات السلبية الأخرى، مثل ضياع أموال البعض، أو قلق أصحابها المستمر لعدم تمكُّنهم من استرداد أموالهم إلى فترة طويلة، أو ضياع أموالهم رغم طمْأَنَة الحكومات لهم بشتى الطرق. وهذا الخوف وحده يترك آثارا سيئة جدا على الناس؛ يريد البعض شراء البيوت بالرهن أو تجديد رهنها، ولكنها غير مهيئة للبيع في السوق أصلاً رغم انخفاض أسعارها كثيرا. ولا يملك الناس نقودًا كافية لتسديد ثمن البيوت نقدًا، ومن جانب آخر لا تقرضهم البنوك. لقد كانت البنوك تعطي القروض من قبل، ولكن لم تعُدْ لديها الآن أموال كافية لهذا الغرض.

فالآن، قد تغيرت الظروف، وصارت حالتهم كما قال الله تعالى: إنهم يتصرفون كالذي يتخبطه الشيطان من الجنون. وإن أغلبية الناس الذين كانوا متورطين في هذا النظام أصبحوا يتخبطون خبط عشواء فعلاً –الله يرحمهم– وكما قلتُ من قبل تكثُر الكآبة عند تدهور الوضع الاقتصادي وتنشأ القلاقل في المجتمع.

لقد تذكرت بالمناسبة جملة لطيفة باللغة الإنجليزية يرددها خبراء الاقتصاد وهي:

If my neighbor looses his job, it is recession. If I loose my job it is depression.

أي إذا فقَد جاري عَمَلَه فهذا كساد مؤقت، وإذا فقدتُ أنا عملي فهذه كآبة وكساد دائم●.

والكساد والكآبة مصطلحان اقتصاديان، والمراد منهما أن الأزمة الاقتصادية المؤقتة تسمى كسادًا، أما الأزمة الاقتصادية المستديمة فتسمى كآبة.

وبالإضافة إلى ذلك هناك كآبة من نوع آخر أيضا يصاب به الناس حين يُفصَلون عن وظائفهم وهي كآبة صحية، وقد تسببت الأزمةُ الاقتصادية الحالية في فصْل مئات الآلاف من الناس من وظائفهم.

إذن، فإذا كان الناس يملكون شيئا من العقل فمن واجبهم أن يحاولوا التخلص من النظام الربوي، ويقوموا بتجارة أحلّها الله تعالى. وعلى البلاد الإسلامية التي حالتها المادية جيدة أن يقدّموا نموذجهم في هذا الصدد. لقد نُهِيَ المسلمون عن الربا نهيًا شديدًا، حيث حذرهم الله من العقوبة في الآخرة أيضًا بعد العقوبة في الدنيا.

والبلاد التي لا يتصرف أهلها بأمانة رغم وجود جميع الإمكانيات والموارد عندهم، ويسيئون استخدامها – أو يركض أصحاب الحُكم فيها وراء مصالحهم الشخصية – عليهم أن يعودوا إلى صوابهم. لنأخذْ مثلاً باكستان أو ما شابهها من البلاد، فإن القادة فيها لم يكونوا أوفياء ببلادهم قط، بل نهبوا ثرواتها وخيراتها دائما، وأداروا شؤون البلاد بأخذ القروض من بلاد أخرى.

● كلمةdepression في معناها العام هي الكآبة أما كمصطلح اقتصادي فهي تعني الكساد الدائم المتعلق بالبطالة. *المترجم.*

فقبْلَ بضعة أيام أعلنوا في باكستان بكل سرور وحبور أنه قد تمّتْ الموافقة على قرض مبلغه أربعون مليونا أو قريبًا من ذلك. ولكن السؤال هو: كيف سيتم دفع هذه القروض؟ لا يدري أحد عن ذلك شيئا، وبالتالي هناك ضجة عن كيفية أداء القسط الأول من هذا القرض لباكستان. كان القادة في باكستان يعلنون فيما سبق بأعلى صوتهم أن ضخامة المبالغ الاحتياطية من العملة الصعبة عندهم قد بلغت مبلغا كبيرا، أما الآن حين أُزيلَ اللثام عن الواقع فتبين أنه ليس عندهم شيء. علمًا أن الله تعالى قد وهب باكستان أيضا ثروات طبيعية كثيرة، وكذلك من ناحية الزراعة أيضا قد حباها الله تعالى بطقس مناسب جدا وأراضٍ خصبة جدا أيضا، ولكنهم قد اعتادوا التسول والاقتراض وإساءة استخدام الموارد الطبيعية بحيث فقدوا الغيرة أيضا. والحال نفسه بالنسبة إلى البلاد الغنية بثروة النفط، إذ لا يريد قادتها أيضا أن يعودوا إلى صوابهم.

إذًا، فالسبب الرئيس وراء كل ذلك أنهم قد نسوا الله تعالى ولم يتّبعوا تعليمه، فجرَوا وراء أطماعهم وتورّطوا في النظام القائم على الربا. بينما يقول الله تعالى للذين يُقرضون أموالهم على أساس الربا: إنكم تزعمون أن أموالكم تزداد بالربا، ولكنها لا تزداد عند الله؛ وما لا يزداد عند الله فلا بركة فيه.

فكما قلتُ من قبل إن البلاد الإسلامية التي تودع أموالها البنوكَ لأخذ الربا ستعاقَب عقوبة أكبر لأن الله تعالى قد حذرهم من أخذ الربا. أما الظن أننا في مأمن ولا خطر علينا فإنما هو ظن خاطئ تماما، فقد أثبتت الظروف الراهنة أن غير المسلمين أيضا وقعوا في براثن هذه العقوبة وسيظلون يقعون بين فينة وفينة.

وفي الآية الأربعين (من سورة الروم) قد نبّهنا الله إلى أداء الزكاة التي فيها حق للفقراء والدولة، كما أن فيها خدمةً للإسلام أيضا. أما في النظام الربوي،

فلا يؤدون فيه الزكاة ولا حق الفقراء، فيزداد الغني غنى كل يوم. ولكن غناه سيظل محدودًا، إذ يأخذه بطش الله حتما. وعندما ينـــزل بطش الله بأحد يرى النتائج التي نراها بادية في هذه الأيام. لقد أوصى الله في الآيات التي تلوها من قبل بأداء حقوق جميع شرائح المجتمع، لأن هذا ما يضمن نماء الأموال، وليس الربا. فيجب على البلاد الإسلامية خاصة أن تتذكر هذه النقطة المهمة.

وقد سبق أن أدركها بعض بلاد الغرب أيضا؛ فمثلا كانت حكومـــة ألمانيـــا فهمتْ هذا الأمر قبل بضعة عقود، وكانت تنوي إلغاء النظام القـــائم علـــى الربا، ولكنها لسوء الحظ لم تتمكن من تنفيذ ذلك. وقد نُشر خبر قبل الأزمة الحالية بفترة أنه بسبب انخفاض نسبة الربا قد تحسن اقتصادهم بعض الشيء.

فالحق أن الحل الحقيقي والصحيح للأزمة هو أن ما قد سلف من الربا فقـــد عفا الله عنه، ولكن يجب أن يلغوا ما بقي منه، ويتوبوا عن أخذه في المستقبل. وهذه النصيحة موجهة إلى المسلمين بوجه خاص. فلو فعلوا ذلـــك لتجنبـــوا الأزمات التي تطل برأسها مرة بعد أخرى بعد كل بضعة أعوام، ولتخلصوا من الهزات التي يتعرض لها الاقتصاد بحيث يواجه كل بلد أزمة اقتصادية لا قِبل لهم بها، لا من حيث البلد ولا من حيث الأفراد.

وبعد ذكر أمور أخرى يقول الله تعالى في الآية ٤١ من سورة الـــروم: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَـــلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

لقد وجه الله تعالى هنا أنظارنا إلى أنه هو الذي خلقكم، ولم يهملكـــم بعـــد خلقكم بل هيأ لكم رزقا أيضا.

ويقول الله تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم إنه يرزق كل شيء خلقـــه من مواشٍ ودواب وطير، ولسوف يرزقكم أيضا إذا عملتم بأوامره. فالله تعالى

يوصي ويقول: عليكم أن تأخذوا أوامره بعين الاعتبار دائما، لأنه تعالى هو الذي يميتكم ثم إليه تُحشَرون للمساءلة والحساب، فلا تقعوا في الشرك سواء كان جليًا أو خفيًا ولا تحيدوا عن أوامره قيد شعرة. وهذا التحذير موجَّه إلى المسلمين بشكل خاص. إن النظام القائم على الربا خطير جدا ويجب علينا، نحن المسلمين الأحمديين، أن نتجنبه بوجه خاص.

لقد نصح الله تعالى بترك الربا في سورة البقرة وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾(البقرة ٢٧٩-٢٨٠). فالتحذير هنا موجَّه إلى المؤمنين بشكل خاص. ونرى أن التأثيرات السلبية لنظام الربا تضرّ كل شخص بغض النظر عن دينه، وسواء كان مسلما أو غير مسلم. كان الله تعالى قد أخبر في الآيات التي تلوتها من قبل أن الشيطان سيتخبطكم إذا تورطتم في التعامل الربوي، فتظلّون غارقين في الربا دون أن تدركوا كيف تنفقون، وتفقدون القدرة على التمييز بين الحسن والسيئ. أما في الآية الآنفة الذكر فأُعلنت الحرب من الله ورسوله على من يتعامل بالربا. ومعلوم أنه إذا أُعلِنت الحربُ من الله ورسوله ضد أحد فلا يسلم دينه ولا دنياه، أي سوف يخسر دنياه إلى جانب دينه.

لا شك أن هذا واجب جميع البلاد، ولكني أوجه هنا أنظار البلاد الإسلامية بوجه خاص، فأقول لو استعرضَت البلادُ الإسلامية هذا الأمرَ لوجدوا أن الشُقّة الحاصلة فيها بين الأغنياء والفقراء نتيجة الربا في تزايد مستمر، كما تتسع هذه الشقة بين بلد وآخر أيضا.. أعني أن البلاد الإسلامية الفقيرة تفلس أكثر بسبب هذا الوضع، بينما تنتفع منه البلاد الغنية التي تملك ثروة النفط، وبالتالي تنشأ القلاقل والاضطرابات والتمرد داخل البلد الواحد، وبين البلد

والبلد الآخر أيضًا. ففي باكستان مثلا أيضا لا تزال الشُقّة تتسع بين الأغنياء والفقراء يوما فيوما. ومن أهم أسباب الاضطراب السائد في البلد أن الأغنياء لا يؤدون حقوق الفقراء طمعًا في تكديس الأموال عندهم، فيجد بعض المشايخ فرصة سانحة ليفعلوا ما يحلو لهم عن طريق الفقراء. ولو أدى الأغنياء حقوق الفقراء على ما يرام لما نجح هؤلاء المشايخ في استخدام أولاد الفقراء في العمليات الانتحارية التي تقع هذه الأيام. لا شك أن لهذه العمليات أسبابا أخرى أيضا، ولكن أهمها عدم أداء حقوق الفقراء.

إذًا فإن الحالات السائدة في البلاد الغنية والفقيرة على سواء – والتي ظهرت في هذه الأيام بصورة أبرز من ذي قبل – إنما هي نتيجة لإعلان الله تعالى المتعلِّق بالربا. ولقد رأينا في الماضي ونرى في هذه الأيام أيضا أن الأموال المودَعة في البنوك لأخذ الربا هي السبب وراء نشوب الحروب، وهي التي تؤدي إلى غصب ثروات الآخرين ومواردهم، بمعنى أن تلك الأموال تعاد إلى أهلها مع أرباح الربا من ناحية، ومن ناحية ثانية تكون وسيلة للدخل المستمر للدائنين. الواقع أن الحروب الجارية في هذه الأيام باسم إقرار الأمن ليست من أجل السيطرة على البلاد الأخرى، إنما هي من أجل سلب ثرواتها ومواردها. فلو قبِل البلد الضعيف شروطَ البلد القوي لاستتبَّ الأمنُ فورًا، ولَنَصَّبوا عليه رئيسًا يرضوْنه، ولشكّلوا حكومة بحسب رغبتهم؛ وإن لم يقبل فإن الحروب تطول بسبب إنفاق أموال الربا فيه.

ولما كان هذا تصرفًا منافيًا لمشيئة الله تعالى، فلذا يأتي وقت لاحقا يُري الله فيه الأقوياءَ يد قدرته ويهينهم ويخزيهم. ولقد رأينا بأم أعيننا أنه كلما هزّهم الله تعالى رغم ظروفهم الاقتصادية الجيدة، بدأت القوى الاقتصادية العظمى أيضا تخرّ واحدة بعد أخرى بهزة واحدة، و لم تُغْنِ عنهم مؤسساتهم التي كانت

تقرضهم الأموال، بل اضطرت الدول لأن تساندها بأموال الناس المودَعة عندها. إذًا، اضطرت الحكومات الآن أن تساند مؤسساتِ الإقراض السابقة، ورغم ذلك لا يوجد ضمان متى وإلى أي مدى ستتحسن الظروف. وكما قلت من قبل إن خبراء الاقتصاد أيضا بدأوا يقولون إنه لا توجد مؤشرات لعودة اقتصاد القوة الكبرى مثل أمريكا أيضا إلى طبيعته عاجلاً.

يبدو جليًا الآن – كما ذكرتُ من قبل – أن هذه الدول الكبرى تمدّ عينها جشعًا إلى موارد الدول الأخرى، وهو سبب رئيسي آخر يدمر أمن العالم. يقول الله تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(طه:١٣٢). وفي رواية عن عمر ﷺ: لا تجرِ وراء ما ليس لك ولم تُرزَقْه.

هذا هو التعليم الأساسي والهام بأن يمدّ كلٌّ منّا رجله على قدر فراشه، فلا ينفق إلا بما يتناسب مع دخله. لقد ذُكّر والمؤمنون خاصة هنا أن زهرة الحياة الدنيا ليست دائمة، بل هي متاعٌ قليل مؤقت، فيجب أن لا يكونوا راغبين فيها بحال من الأحوال. يجب أن يهتم المؤمن بعقباه وبابتغاء مرضاة الله تعالى. إن أصحاب "زهرة الحياة الدنيا" أيضا أصبحوا يرون اليوم أنهم مندفعون نحو دمارهم، فمن يرغب في زهرتها مثلهم سيلقى مصيرًا مماثلاً. فهناك حاجة ماسة إلى أن يفهم الجميع أن عليهم أن يظلّوا قنوعين بمواردهم فحسب، سواء على مستوى البيت أو المجتمع أو البلد أو على المستوى الدولي، وأن يحاولوا تجنُّب الربا كما أمر الله تعالى. فإذا قنِع كلّ واحد بما عنده – على مستوى البيت – فلن تكون لديه حاجات زائدة، وبالتالي لن يضطر للاستدانة. فمثلاً لن يرغب في شراء أريكة راقية رأى مثلها عند جاره، ولن يفكر في اقتناء سيارة فخمة رأى مثلها عند صديقه. كما لن تشتد عنده رغبة في شراء بيت كالذي رأى

أحد أقاربه يملكه. لا شك أن الجميع يرغبون أن يمتلكوا بيتًا، ولكن يجب أن يحرصوا على ألا يكون ذلك بالربا. كذلك لو أن استفادت الدول من موارد الآخرين من خلال التجارة كما أمر الله تعالى -بدلاً من محاولة سلب خيراتهم- فإن سكّان أصغر بلد في العالم أيضًا سيشعرون أن مواردهم ستُستخدم لرقيهم وازدهار بلادهم، كما سيطمئنون إلى أن المعونات الدولية التي تُقدَّم لهم لا تهدف امتصاص مواردهم بل هي لخيرهم. كذلك إذا أنفق القادة والزعماء ثروات بلادهم بأمانة ولصالح بلادهم، فهذا سيقضي على الفتن كلها. فلو أعطوا كلَّ ذي حق حقَّه حافظين لحدود الله تعالى عُصموا من مس الشيطان، وإذا تجنّبوا التعاملَ مع النظم الربوية نالوا أفضال الله تعالى. أما إذا لم تستوعب الدنيا هذا الأمر على جميع مستويات الحياة فتظل مهددة بالحروب على الدوام، وسيتلقى أهلها ضربات من الله تعالى بين فينة وأخرى. فالحق أنه لا يملك حلَّ هذه الأزمة الاقتصادية اليوم إلا المؤمنون، فعلى المسلمين والبلاد الإسلامية أن تبادر للخروج من هذه الأزمة وإنقاذ الآخرين منها. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:١٣١)

فلا بد لنا من التحلي بالتقوى لنكون من المفلحين. ندعو الله تعالى أن يوفّق العالم الإسلامي للتحلي بالتقوى ولا سيما البلدان الغنية منه، التي استثمرت مبالغ طائلة في الربا؛ ولكن لن تتيسر لها التقوى بدون تلبية نداء الله تعالى الذي بلغنا عن طريق مسيحه ومهديه عليه السلام، إذ لا منجى ولا ملجأ في هذا العصر بدون ذلك. يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إن الناس يبغون الآن ماء روحانيا. لقد ماتت الأرض كلية، وتحوَّلَ العصر إلى عصر وُصف بقول الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾(الروم:٤٢). لقد

فسدت البراري والبحار. يراد بالبراري المشركون وبالبحار أهل الكتاب، كما يمكن أن يراد بهما الجاهل والعالم أيضا. باختصار قد وقع الفساد في كل طبقة من طبقات الناس. لقد ساءت حالة الدنيا من جميع النواحي ولم تبق فيها روحانية ولا تأثيرها. إن كل صغير وكبير يعاني الضعف في الأخلاق والأعمال، وانمحت آثار عبادة الله ومعرفته ﷻ، فمسّت الحاجة الآن لأن ينـــزل ماء السماء ويهبط نور النبوة، فينوّر القلوب المستعدة للإصلاح. اشكروا الله تعالى إذ أنزل لكم هذا النور الآن بمحض فضله، ولكن قليلا من الناس ينتفعون به. (تفسير المسيح الموعود عليه السلام، سورة الروم الآية ٤٢)

وفق الله تعالى أهل العالم ليدخلوا في إطار هذا النور حتى ينجوا من الفساد المنتشر في كل مكان جراءَ عصيانهم لأوامر الله تعالى، فهذا هو السبيل الوحيد الآن لإيصال الإنسان إلى الله تعالى ونيل معرفته ﷻ، الذي سيجعله عبدًا حقيقيا له ﷻ وخادمًا مطيعا للنبي ﷺ. ندعو الله تعالى أن يوفق العالَم لفهم هذه النقطة الهامة الأساسية، آمين.

قال حضرته في الخطبة الثانية:

سوف نصلي صلاة الجمعة والعصر جمعًا، لأن موعد صلاة العصر يبدأ من الثانية والربع، وسنجمع الصلاتين اليوم فقط، وليس كل يوم. والسبب الآخر لجمع الصلاتين أن الاجتماع السنوي للسيدات ببريطانيا سيبدأ اليوم.

بعد أداء الصلاتين سأصلي صلاة الغائب على بنت خالتي السيدة أمة المجيب بيغم، التي كانت زوجة لنواب مصطفى خان، والتي تُوفيتْ إثرَ نوبة قلبية في ٢١ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠٨، إنا لله وإنا إليه راجعون. كان عمرها يناهز ٦٦ عاما. كانت بنتَ الصاحبزاده مرزا حميد أحمد ابن الصاحبزاده مرزا

بشير أحمد ﷺ[1]، كما أنها كانت حفيدة لحضرة الخليفة الثاني ﷺ. كانت من المنخرطين في نظام الوصية، ودُفنت في ربوة. كانت على علاقة إخلاص ووفاء معي بفضل الله تعالى. غفر لها الله ورحمها وأدخلها فسيح جنانه، آمين.

لقد تركتْ المرحومة خلفَها بنتين؛ إحداهما "رَمْلة خان" زوجة "الدكتور أفضال" في أمريكا، والأخرى "صائمة خان" زوجة "باسل أحمد خان"، وهو حفيد الخليفة الثالث رحمه الله من ابنته، وحفيدَ السيدة أمة الحفيظ بيغم رضي الله عنها[2] من ابنتها. ندعو الله تعالى أن يرفع درجات المرحومة، وكما قلت، سأصلي عليها صلاة الغائب بعد صلاتي الجمعة والعصر.

[1] نجل المسيح الموعود عليه السلام.

[2] كريمة المسيح الموعود عليه السلام.